

خطاب صاحب الجلالة بمناسبة الذكرى 32 لثورة الملك والشعب

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : «من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر». صدق الله العظيم

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : «ألا هل بلغت، اللهم فاشهد».

لماذا هذه الآية الكريمة ؟

ولماذا هذا الحديث النبوي الشريف ؟

ذلك لان أزيد من ثلاثين سنة مرت على ثورة الملك والشعب، ومنذ ذلك اليوم، يوم 20 غشت 1953 مات من مات وبقي من بقي وولد من ولد ورشد من رشد، وبقي صبيا من هو في طور الصبى، فعلى الذين بقوا ان يلهموا انفسهم وذويهم الى من سبقهم، وعلى الذين بلغوا سن الرشد ان ينهلوا من تعاليم هذه الثورة من آبائهم واعمامهم، وعلى الذين لا يزالوان في طور الصبا ان نربيهم في بيوتنا كيفما كانت متواضعة او غير متواضعة، على احترام بعض القيم، التي بدونها لا يمكن لأي بلد كيفما كان شأنه وكيفما كان شأوه أن يستمر في الحياة، أو أن يستمر في العز والمجد.

إننا نحتفل اليوم بما نسميه وسميناه بثورة الملك والشعب، ولفظ الثورة عادة يجيء حينما يريد المؤرخ او المعرف بأطوار التاريخ وتغييرات المجتمعات، ان يصف الخروج من حالة إلى حالة، وعادة يكون هذا الانتقال بمثابة زلزال المجتمع وهزة تهز الأسر والأنظمة، وما تعايش عليه ذوو البلد من قبل، وحينما تقع الثورة دائما — والعياذ بالله — تكون تلك الثورة دامية مزلزلة تنبني على الانقاض، وحينما تحاول أن تبنى على الانقاض أكثر من مجدها تجد أن الوجود هو وحده صعب بأن يبنى على الانقاض، ولاسيما إذا كانت الأمجاد وكانت الملاحم وكان التاريخ.

أما نحن حينما نحتفل بثورة الملك والشعب اتساءل : هل حينما فكرنا في لفظ الثورة فكرنا في معانيها المغربية الاصيلة الحقيقية، ام اخذناها في خضم السنوات الخمسينية واواخر الخمسينات حتى نواكب تاريخ دول العالم الثالث ؟ وكيفما كان تفسير اتخاذنا للفظ الثورة، المهم هو ليس اللفظ بل المدلول، وليس المنطوق بل المفهوم، وليس اللفظ بل الواقع الذي نعيشه، ومن حسن الحظ ان الله سبحانه وتعالى حتى في ذلك الوقت من 1956 حينما احتفلنا بأول ذكرى لثورة الملك والشعب — بمعنى ذكرى المنفى — أراد الله سبحانه وتعالى ان يلهمنا لفظ الثورة علما منه مسبقا ان لفظ الثورة سيطابق ثورتنا، بمعنى : ثورة المغرب، وثورة المغرب ليست كالثورات، وسأفسر لك شعبي العزيز، ما هي ثورة المغرب، وما يجب ان تبقى ثورة المغرب، فثورة المغرب قبل شيء تتصف بصفتين ومزيتين : الاولى: انها ثورة سلمية غير دموية، ثانيا : هي ثورة ذات استمرارية وبالتالي ذات مردودية، فعلا حينما أراد المستعمر ان يقضي تماما ونهائيا على هذا البلد وهذا الشعب الكريم، ظن



انه إذا هو مس فئة بأكثر من مقدساتنا ـ قداسة بعد القرآن والسنة ـ ألا وهو شخص الملك انه سيقضي على المغرب الاصيل الحر التاريخي المعروف في تاريخه، وحينما ظن ان عمله هذا سيؤمن له دواما واستمرارا في المغرب استيقظ المغاربة كلهم لما أصابهم من ذعر، وحينما نفي ملك المغرب وزعيمه ومحرره محمد الخامس طيب الله ثراه ومن كان له الشرف ان يواكبه في منفاه، وكان المغاربة كما يصف القرآن يوم الحساب، في الاسابيع الاولى، كان المغاربة في مثل «يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد»، ونحن في المنفى ننتظر ونرتقب بوسائلنا الضعيفة، كيف ستكون انتفاضة المغرب ؟ وكيف سيستقبل ذلك المغاربة ؟ و لم يمر على تلك الفترة أكثر من شهرين او اقل من شهرين حتى بدأنا نسمع اخبارا تلو اخبار تدلنا على ان تضحيات والدنا لم تذهب سدى، وان ما بذله رحمه الله من جهد ومن صبر، وعبد ربه هذا اعلم الناس بما تحمله من صبر، ان هذا كله لم يذهب هدرا و لم يذهب سدى، اذذاك فهمنا وفهم اذذاك المغاربة حينما استيقظوا من الذهول الذي اصابهم بعد الزلزال ان كرامتهم وسيادتهم وكل ما يمثلون في الارض وفوق الارض من حقوق الانسان من احترام الشخص لنفسه، ومن احترام الزوج لزوجه، شعر الجميع بان لم يبق هناك الا طريق واحد، هو طريق الثورة، وهنا انطلقت الثورة، وكانت ثورة قبل كل شيء للمبادىء، لم تكن ثورة لتغيير اوضاع، ولا لتغيير مذهب ولا لتغيير منهجية، كانت ثورة لمحو العار الذي الصق بجبين المغرب والمغاربة فكانت فعلا ثورة دامية، ولكن ولله الحمد كانت دامية فقط ضد المستعمر وضد من خان وطنه ووطنيته، وفات ما فات وصار ما صار ورجع والدنا المنعم رحمة الله عليه محمد الخامس من منفاه الى وطنه بين شعبه وذويه، واعطى هو الاول منهجية هذه الثورة وما يجب ان تكون عليه، فقبل ان يلتحق ببلده عفا عمن عفا، وحين وصل الى بلده واسترجع عرشه واسترد ملكه وامره ونهيه، اعطى كذلك هو الاول المثال للتسامح في هذا الباب.

فلذا يمكننا ان نقول بان ثورتنا كانت ثورة سلمية غير دامية.

وبمجرد ما رجع ملك المغرب ورمز سيادة المغرب وبقاء المغرب محمد الخامس طيب الله ثراه الى عرشه وبلده لم يترك للاحقاد ولو ظرفا وجيزا من الزمن لتتركز ولتثبت جذورها في الارض وفي القلوب، لم يترك للزمان اية فرصة حتى نادى في الحين بالمفاوضات مع الدولتين الحاميتين فرنسا واسبانيا، وهكذا شغل رحمة الله عليه المغاربة السياسيين منهم وغير السياسيين، شغلهم في الحين بالحقيقة الملموسة باسترجاع ممارسة السيادة لا باسترجاع السيادة فقط، بل بممارسة السيادة واستلام السلط، ووضع المغربي موضع الفرنسي أو الاسباني، ولم يكن ذلك بالسهل، وقد أتيح لخديم هذه الدولة الأول الحسن بن محمد، أن يشارك أباه في جميع مراحل هذه الفترة، ولم يكتف باسترجاع ما كان للاقامتين العامتين، بل كان علينا ان نخلق جهازين مهمين، ألا وهما الجيش والديبلوماسية، فعملنا ما كان يجب ان يعمل، وجاءت النتائج كما جاءت وسار المغرب مشتغلا بمستقبله راعيا لماضيه حتى لا يتنكر للمعالم الحقيقية الدالة على كل حضارة وتاريخ، وحتى لا يصبح ضحية ديماغوجية تخرجه عن السبيل الوضاح الوضاء لتتيه في متاهات الديماغوجية والمزايدات، تلك التي هي من الصفات الحقيقية والصفات المقومة والمكونة للثورات العادية، وسارت المركبة في حفظ الله وعونه، وجلالة محمد الخامس طيب الله ثراه يرعاها في اوائلها رغم الزوابع ورغم ما من شأنه ان يعرقل سيرها او ان يحطم بواخرها، فنظمنا الادارة، واقمنا القضاء، واقمنا الشرطة، وثبتنا مراكز المصالح العامة على اسس الاستمرارية، تلك الاستمرارية التي هي مقياس كل مصلحة عامة، وحاولنا ان ننظر آنذاك بعد ان بنينا مجدنا واسترجعنا تراثنا، حاولنا بعد ذلك أن ننظر إلى معيشتنا اليومية وإلى قوتنا اليومي، وإنني لا ذكر أن والدي رحمة الله عليه كان



دائما يقول لي : المجد قبل الخبز ، لنسترجع أولا قواعد لا مظاهر قواعد السياسة ومراكز الحكم وأسس العدالة وقوائم المشروعية، وبعد ذلك يمكننا أن نبتني أو أن نضع قاعدة اقتصادنا ومجتمعنا على قدر وسائلنا وإمكاناتنا.

هنا يقف المظهر السلمي لثورة الملك والشعب، وكما قلت لكم هو مظهر سلمي لم يزلزل اي شيء الا الاستعمار، و لم يزل من محله ومنصبه وقاعدته الا الظلم والجور والتعسف على المواطنين الذين لا ذنب لهم اذذاك الا انهم مغاربة.

وهنا تبدأ مردودية الثورة المغربية، اذا شئت شعبي العزيز، أو اردت ان اعد احصاء عن مردودية هذه الثورة فسيطول الزمن بي ويتطلب ذلك مني عشرات وعشرات السنين، فهذه المردودية عشناها جميعا الشيوخ والكهول والشباب منا، الشيوخ فهموها وهضموها، والكهول يصنعونها يوميا ويعملون لها، والشباب يحاول الآن ان يفهمها وان يستوعبها، وعلينا نحن ان نسوغها لنفسه ومعدته حتى تصبح شيئا مهضوما عمليا وفكريا وفلسفيا، مردودية هذه الثورة هي ما تنعم به — ولله الحمد — من احترام في العالم، مردودية هذه الثورة اننا ولو اصبحنا في هيأة الامم المتحدة، وما يتفرع عنها من هيئات مختصة، ورغم ما نتوفر عليه من قدرات تكنولوجية ووسائل للرفاهية، بقينا ثائرين مغاربة، وبقينا مالكيي المذهب، وبقينا سنيين، وبقينا متسامحين، وبقينا حفظة للمشروعية وبقينا متشبثين بصوم رمضان، وبقينا متشبثين بالتحية في المساجد، وبقينا متشبثين بما كان يفعله اباؤنا واجدادنا في القرون الاولى من وضوء وصلاة وزكاة وحج لبيت الله واقامة لشعائر الله وحفاظ على قواعد الاسلام الخمس وما تفرع من السنة النبوية، مردودية ثورتنا اننا نركب الجرارات للفلاحة ولكن مع ذلك لا ننسى ان هناك خلايا اجتماعية مازالت تحتاج الى عنايتنا والاخذ بيدها، استعملنا المصانع وقمنا بثورة صناعية، ولكن مازلنا نرعى الصناعة التقليدية علما منا بأنها هي أحسن مدرسة للتواضع ولمغربة الروح المغربية، صرنا نتصل مع الخارج عبر الأقمار الاصطناعية، ولكن مازلنا محتفظين بالخلايا الأساسية لمجتمعنا من قبيلة ومن مدشر ومن حومة ومن درب ومن مدينة ومجموعة، صرنا نخطط عندما نمد القنوات للماء، وحينما نشق الطرق والسكك الحديدية، ونحن مع ذلك محترمون لكل اقليم مزيته، ولكل منطقة مميزاتها، وبشمال المغرب وجنوبه وشرقه وغربه ووسطه محافظون على بيئته الحقيقية كما يجب ان تعيش وكما يجب ان تبقى وكما يجب ان تزدهر.

ثورتنا ثورة الملك والشعب، وحينما أقول ثورتنا لا أفرق، ثورتنا، ثورة الملك والشعب هي ثورة ملائمة ومتلائمة، وفي الحقيقة لا نجد الفرق في اللغة العربية مع الاسف، ان الفرق كبير جدا بين النهضة والثورة، فثورتنا هي ثورة ناهضة، او نهضتنا نهضة ثائرة، المهم في هذا كله ان يوم 20 غشت يجسد بالنسبة لنا اننا ضربنا رقما قياسيا ضد عجلة التاريخ لماذا، لاننا كذلك الذي يجري في حلبة السباق ولا يجري مجردا من الملابس، بل يجري وعلى ظهره الاطنان والاطنان من الماضي، ومع هذا العبء الشريف وهذا الثقل النبيل الذي نحمله كلنا على اكتافنا من امجاد وتاريخ وفضائل — وزد على ما تريد ان تقول — ضربنا رقما قياسيا في جميع المجالات التي اردنا ان نخوضها بجد، وسوف تقول شعبي العزيز، طيب هذه كله جيد، ولكن المغرب ككل الشعوب هو مكون من بشر، والبشر معرض للزلل والخطأ، فما هي عيوبنا ؟

سأجيب ان الخطر كل الخطر الذي من شأنه ان يهدد حيوية هذا البلد او مستقبل هذا الشعب هو عدم الجدية والازدراء، لا اقول البطء، البطء والسنة هنا والنوم يلحق البشر كما يلحق الدول، ولا يمكن للدولة او لانسان ان يبقى يقظا مستيقظا دون ان ينام.



السبات، الله الحي القيوم هو الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، السبات من طبع البشر وطبيعته، ومن طبيعة الدول، ومن طبيعة الأمم، يمكن أن تنام، ولكن حتى إذا نمنا يجب أن ننام بجدية، وإذا استيقظنا استيقظنا بجدية، فخطر المغرب هو عدم الجدية، اما اذا توفرت لهذا البلد، وأرجو الله سبحانه وتعالى ان تتوفر لديه دائما هذه المزية — مزية الجدية والجد — فلي اليقين انه سيبقى دائما في مأمن من الكوارث ومن مفاجآت التاريخ.

فالتاريخ يمكن ان نمثله برجل او استاذ او فقيه، التاريخ يغفر لكل من فعل معه شيئا، ولكن لا يغفر لمن ازدرى به او استخف به، يمكن لك ان تنسى التاريخ — لا بأس — يمكن للانسان ان يجهل التاريخ — لا بأس — اما ان تأخذ التاريخ وان تنظر في عينيه كما ينظر في عينيك، وتقول له : أنا لا اعبأ بك، فالتاريخ لا يسمح لمن لا يعبأ به، ولا يسمح لمن يستهزيء به، ولم تكن هذه المردودية التي ذكرت بكيفية موجزة، لم تكن هذه المردودية التي نرى والتي يغبطنا عليها اصدقاؤنا ويحسدنا علينا خصومنا، وكان النبي ﷺ يقول : «اللهم كثر حسادنا»، يارب كثرهم، لم تكن هذه المردودية بحجمها ووزنها لان تكون لولا الجدية واحترام التاريخ.

وكيف يمكننا ان نحترم التاريخ ؟ مسألة سهلة جدا، لدينا ولله الحمد، كراريس وكراريس، وكتب وكتب من معالم تاريخنا القديم، ومنذ كان المغرب دولة الى يومنا هذا، واذا نحن اردنا ان نضع في ضلع من الاضلاع، ما هي الصفات الاساسية التي اتصف بها المغرب في اوقات مجده، والصفات غير الضرورية المستحبة والصفات المحرمة، نجد ان جميع الدول او الاسرة الملكية التي تعاقبت على عرش المغرب ما احترمت المباديء وكانت متسامحة في السنن وكانت متجنبة لما هو محرم الا وكان المغرب في علاه وفي اوج علاه، وحينما تتنكر لما يجب ان يكون عليه عملها، وحينما تتساهل وكأنها تسب التاريخ وتسب الماضي وتقول لما يستقبل اعبأ بما اعطيتنا يا تاريخ لا اعبأ بما اعطيتنا، سأهدم كل شيء وسأبني برجالي كما حاول فرعون ان يبني برجاله ليصعد الى السماء، الا ووقعت في هوة ما خرجت منها الا بعد ان استبدل الله سبحانه وتعالى بقادتها قادة اصلح واحسن.

ومن جملة مردوديات هذه الثورة كما قلت لك، لا يمكنني ان احصيها كلها، ولكن لنقتصر على شهر غشت هذا،من هذه السنة :القمة العربية، الالعاب العربية وزيارة البابا هذه الاحداث الثلاثة ما كان للحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن ان يكون هو خالقها بعد الله لولا ان وجد قاعدة اساسية وقف عليها وانطلق منها منذ 20 غشت 1953 هو وشعبه.

فها أنتم رأيتم أنه في شهر واحد هذه الثورة السلمية، ذات المردودية، أتت في شهر واحد باجتماع شمل الامة العربية، واجتماع واستكمال اجتماع شبابها في الالعاب، وتتويج هذا كله بان يكون المغرب أول بلد عربي اسلامي فوق هذا ملكه سليل الدوحة النبوية الشريفة وفي آن واحد امير المؤمنين يزوره رئيس وقائد الكنيسة المسيحية.

هذه مردودية، وهذه المردودية ليست مردودية عملي، بل هي مردودية انتفاضة المغاربة الذين لم يعتبروا ان النص الفلاني او النص الفلاني من معاهدة الحماية قد مس حينما نفي والدي رحمة الله عليه. لا، لم ينظر في الحماية، لم ينظر في عقد الحماية، بل رأى ان رمز سيادته ورمز كيانه امتدت اليه يد الطغاة والجبابرة، لم يضيع وقته في المفاوضات مع نفسه، هل كانوا على صواب ام لا ؟ هل عقد الحماية يخول لهم ان ينزعوا او لا ؟ ثار لأنه شعر بأنه بنفي الملك وقع حقيقة المس بكرامة كل مغربي، وإذا كنا نعيش في الجو الذي نعيش فيه، وفي الراحة السياسية التي نعيش فيها، فذلك يرجع قبل كل شيء الى ذلك اليوم، يوم 20 غشت 1953.

فرحمة الله تعالى وبركاته على صانعي 20 غشت 1953 محمد الخامس طيب الله ثراه، ورحمة الله تعالى وبركاته على جميع الشهداء الذين ضحوا بحياتهم معه ومن اجله، ورحمة الله تعالى وبركاته على الاموات والاحياء من الذين واكبوا اولئك الثائرين، فلم يكن لاولئك الثائرين ان ينجحوا في عملهم لو وجدوا شعبا ومجتمعا غير مطابق لما ارادوه، وغير متمش معهم، فجميع المغاربة آنذاك كانوا جيش التحرير والمقاومة، لان المقاوم عندما كان يضرب لم يكن يفضحه احد، كان اعضاء جيش التحرير كلهم يحاربون ويقاومون، وكان الناس جميعهم يعرضون حياتهم للخطر بمدوهم بالسلاح والغذاء، وهذه هي أيضا من مزايا المغرب ومقاومة المغرب، ان المغرب كله كان مقاوما.

فرحمة الله على الاموات منهم والاحياء، ولنبق دائما متشبثين بروح المقاومة، لان المقاومة ليست مقاومة النفس فقط ولا مقاومة الاستعمار، ولكن هي مقاومة الظروف، وهي المقاومة الحقيقية، لانه قلما يجد الانسان نفسه مرتاحا حينما يرى وينظر الى مطامحه وينظر الى امكاناته، المغرب حقيقة إذ يحمد الله ويشكره على ما اعطاه وعلى ما أسبغ عليه من نعم، المغرب لا يزال في حاجة ماسة إلى اكرام الله وافضاله، لأن سياستنا وطموحنا وما نصبو إليه، كل هذا ليس في مستوى امكاناته، فلذا من جملة مظاهر الثورة، مظهر التغلب على الصعاب، على الصعاب المادية، والذي تغلب على الصعاب المعنوية والصعاب التاريخية والصعاب الاستعمارية يمكن — لا اقول بسهولة — ولكن يمكنه ان يتغلب على الصعاب المادية، وان يتحمل كذلك ثقلها وعبئها.

ولا أريد أن اختم كلمتي هذه دون ان اقول لكم انني فخور ان نجني اليوم ثمار مردودية 20 غشت 1953، فنحن عشنا — جيلي — عاش 1953، عشناها كنا فيها، لان التاريخ أراد أن نكون فيها، ولكن نحن الذين جنينا مردوديتها، ومردوديتها لن تنتهي هنا بل ستستمر، لأن علينا أن نكون ثائرين في الشكل الذي حدثتك عنه دائما حتى تكون ثورتنا ايجابية، ثورة تعطي لا تأخذ، ثورتنا يجب ان تكون ثورة تعطي ولا تأخذ.

وفي مثل هذا اليوم من الاسبوع المقبل سنكون محتفلين بعيد الاضحى المبارك، وقد أنعم الله سبحانه وتعالى علينا بسنة ممطرة طيبة، ولمدة سنتين اخذنا على انفسنا و لم نضح، فأظن شخصيا انني حينما ابارك لك عيدك الاضحى شعبي العزيز، ادعوك الى ان تتمتع انت في جميع اسرك بأضحية هذه السنة، لانها سنة مؤكدة في جميع الاحوال، ولكن نحن في حالة الخصب والاخصاب، فعليك شعبي العزيز ان تتحلى بحلة السنة المؤكدة، أرجو الله سبحانه وتعالى ان يكون عيدك الاضحى عيدا مباركا سعيدا، وان لا اكون قد اطلت عليك في تفسيري الفلسفي التاريخي لمعنى 20 غشت 1953، واعلم انك تفهم كل شيء، ولكن لاهنئك بعيدك — عيد الاضحى — وارجو الله سبحانه وتعالى ان يهدينا جميعا ودائما ويلهمنا حتى نكون دائما ثوريين، ثوريين مسلمين اصحاب مردودية، انه سميع مجيب، والسلام عليكم ورحمة الله.

الثلاثاء 3 ذي الحجة 1405 ـ 20 غشت 1985